بسم الله الرحمن الرحيم

من ميادين التربية فى الوحى الإلهى :-

التربية بالموعظة الحسنة

وأهميتها للداعية الإسلامى المعاصر

بقلم

الاستاذ الدكتور

مرسي شعبان السويدى

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على المبعوث هاديا ورحمة للخلق أجمعين . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى آله وصحبه والتابعين .رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . ومن نهج مسلكهم إلى يوم الدين .

وبعد . .

فرغم التقدم التكنولوجي ، والتقنية العلمية الحديثة السائدة في العالم فإن الإنسانية تمر بأوقات عصيبة ، وتقف على حافة الهاوية ، وخاصة في ظل هذا التقدم العلمي الهائل في عصرنا الحاضر ، ففي هذه الفترة الحرجة والتي يصل فيها الفزع إلى غايته ، والقلق إلى أي مدى وصل التخبط الفكري أبعاده ، حين نأت البشرية – إلا من عصمه الله – وحادت عن منهج الله تعالى لواقع الكون والحياة والإنسان .

« ومن يتطلع للواقع المؤلم الذي تحياه البشرية ، يلمس هذا الاضطراب بادياً ، كما يشهد الواقع تخبط الإنسانية مابين عبادة العقل وعبادة المادة ، وعبادة الحتمية الاقتصادية ، والحتمية السياسية والاجتماعية ... إلى آخر هذه الآلهة المزعومة التي صنعها البشر بأهوائهم وعبدوها ليهربوا من عبادة الله تعالى الخالق ، فكانت الشقوة التي تفسد القلوب والنفوس ، وكان العذاب الأليم الذي يمس حياة من اتبع هواه » [1] وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة .

وليس للبشرية علاج مما انتابها من علل وأمراض – نفسية وعقلية وبدنية – إلا أن تهرع وتعود إلى صراخ الفطرة في كيانها ، لتجد الأمن

---

(١) (منهج التربية الاسلامية) محمد قطب جـ١ ص ٥ بتصرف يسير.

والسكينة في حمى الله عز وجل ، وتدرك التوجيه الإلهي الحق الراشد في منهجه التربوي للحياة والسنة النبوية – هو المنهج الذي لايقارن بأنظمة تربوية بشرية سائدة في المجتمعات البشرية ، وضعها وقننها بشر مخلوقون، لايملكون لأنفسهم موتا ولاحياة ولانشورا ، فكيف بهم يفترون ويحسبون أنهم يشرعون منهجا لواقع الكون والحياة والإنسان ؟!! .

وعلى سبيل المجاز لا الحقيقة ، إذا ماقورن المنهج الاسلامي في التربية بسائر الأنظمة التربوية – الوضعية – السائدة في شتى ربوع المعمورة ، فسنجد تميز وسمو الطابع التربوي في الوحي الإلهي على غيره من شتى هذه المدارس التربوية البشرية ، ذلك لأنه المنهج الرباني لتقويم الانسانية وتوجيهها الوجهة الراشدة ، لترشد وتتوازن بل وتتلائم وتتكيف في سبل الحياة المتنوعة ، فضلا عن أنه منهج فريد في منبعه ومصدره ، ووجهته وغايته ، وخصائصه ، وتعاليمه وشرائعه وشعائره وقيمه ، منهج فريد في أثره داخل النفوس، ومدى تأثيره وتأثره فيها ، منهج فريد في عمومه وشموله وخلوده لكل دخيلة من دخائلها ، ولكل خالجة وفكرة وشعور لهذه النفس الإنسانية.

ومن ثم كان من ثماره بزوغ أمة ، شهد التاريخ الإنساني بخيريتها على سائر الأمم ، انتفضت من تراب الأرض ، فوصلت إلى السماء ، أمة اعتصمت بحبل ربها حتى أصبحت صلبة متماسكة لامثيل لها في الكوكب الأرضي ، أمة تفتح وتغزو ، تعمر وتبنى ، تقيم مُثُلا وقيما غير معهودة من قبل ولا من بعد في السجلات الانسانية ، فكتب الله تعالى لها الذيوع والانتشار في بقاع المعمورة الأرضية ، تنشر النور والهدى ، وتنشيء منهاجا قويما للحياة والأحياء .

هذه الأمة الفريدة كانت من نتاج المنهج التربوي الإلهي بماديتها ومعنوياتها ، بأفكارها ومشاعرها وأحاسيسها ، بأقوالها وسلوكها، بظاهرها وباطنها ، ولئن كان الزمن قد مزّق هذه الأمة ، وشتت كيانها – إلى حين – نتيجة دخول مجموعة من الطواريء الدخيلة على كيانها وبيئتها، فقد كان سبب التفرق والتمزيق هو غفلة – السواد من – هذه الأمة عن منهج الوحي الإلهي، وتدهور حال الأمة من عصر إلى عصر بتطور العصور – في فترات محدودة وموقوتة – « حتى العصر الذي انحسر فيه عن الساحة الإسلامية حكم الإسلام ، وزالت في الأرض معالم الخلافة الإسلامية، واستطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى بغيتهم الخبيثة ، وغرضهم الدفين في تحويل العالم الإسلامي إلى أمم متناحرة، ودول متخاصمة ، تتقاذفهم الأهواء، وتجتذبهم المطامع ، وتفرقهم المبادي، ويتساقون انسياقاً أعمى وراء الشهوات والملذات، ويتخبطون في أوحال التحلل والإباحية ، ويسيرون في ركب الحياة وموكبها بلا هدف ولا غاية. ويعيشون من غير ما سعى إلى مجد، ولا وحدة ، ولا كيان ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى وتظنهم قوة ولكنهم غثاء كغثاء السيل .

الأمر الذي دفعني دفعا قويا إلى كتابة هذا المقال بحولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، لكي أكشف النقاب – للأمة بأسرها وخاصة كل غيور على دينه – عن واقع الأمة الإسلامية الأليم ، وأبعث همم أمتنا على المنهج الأمثل لواقعها ، حتى تستعيد المجد الذي فقدته ، وقوتها التي أرختها لأعدائها وأدعياء الباطل ، وأدفع بالشبيبة المؤمنة – بصفة خاصة – وأرباب الإصلاح والدعوة الذين اعتراهم اليأس ، واستحوذ عليهم القنوط ، إعتقادا منهم – وهو اعتقاد مزعوم – أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة ، وأن لا

أمل إلى استعادة مجدها ، واسترجاع كيانها وعزتها وخيريتها من جديد ... بل وجد من هؤلاء من ينادي بالعزلة الكاملة ، والتزام أحلاس البيوت، لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان ، وأنه قد آن الأوان أن يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفرّ بدينه من الفتن حتى يدركه الموت [1].

أقول : إن هذا التصور اليائس للدعوة والإصلاح ناتج إما عن جهل بطبيعة هذا الدين الإسلامي ، وإما عن حب الدنيا وكراهية الموت ، وإما عن الجهل بالغاية التي من أجلها خلق الإنسان ، وما على المسلم إلا أن يعيد كشف حساباته ، ويخلو بنفسه وتراثه ، ويسأل :

* ما الذي افتقده المسلمون في زماننا هذا حتى نبحث عنه ونحاول الوصول إليه ؟

* وما الذي ضاع من المسلمين فضيّع شخصيتهم ، وأذاب هويتهم ؟

* ولم هذا التخلف والتمزق في الصف الإسلامي دون غيره ؟

ولا أجدك أخي القارىء تتلعثم وتتخبط طويلا في الإجابة عن هذه التساؤلات ، لأن الإجابة عليها جلية كالشمس في وضح النهار ، إنها تنحسر في فقدان الهوية والذاتية الاسلامية والبعد عن طابع الوحي الإلهي ، ولكي يكتمل الأمر وضوحا لديك ، تأمل بعين البصيرة لا البصر فحسب – كم كان عدد المسلمين يوم أن قال الرسول صلى الله عليه وسلم : والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر

---

(١) (تربية الأولاد في الاسلام) عبدالله ناصح علوان جـ١ ص ٩ – ١٠ بتصرف.

ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ؟ بل كم كان عددهم يوم بدر الكبرى ؟ ويوم الفتح ؟ويوم أن دانت لهم بلاد الأكاسر والقياصر ؟ !!.

كتب التاريخ الإسلامي أخي القاريء تجيبك وتحدثك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع بهذه القلة العددية أن يُكون أمة تحمل رسالة، وتقيم دولة ، وتنشيء حضارة ، وتصنع تاريخاً عظيماً ، جعل من ضعفها قوة ، ومن أميتها علماً ، ومن فرقتها وحدة ، ومن بداوتها مدنية، ومن الحفاة العراة خير أمة أخرجت للناس ، ذلك أن الإسلام دعوة تربوية قبل أن يكون رسالة تشريعية ، ورسالة خلقية تهذيبية قبل أن يكون دعوة جهادية ، ورسالة سمو وقيم قبل أن يكون كثرة واتساعاً ، جوهر الإسلام خلق وإحسان، ووسيلته قدوة وتربية ، وميدانه النفس والقلب [1].

واسأل – أيضا – نفسك أخي القاريء الكريم : لم عزَ المسلمون الأوائل [السلف] مع قلة عددهم ؟ وذَل الخلف مع الكثرة الغثائية ؟!!

إن السر في هذا اعتصام القلة بالوحي الإلهي ، فرضي الله تعالى عنهم ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ﴾ [2] ، وفتح الحق تبارك وتعالى لهم قلوب العباد قبل البلاد ، وذلل لهم الأرض بأسرها حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً ، ومكن لهم في الأرض ، حتى عم نور الإسلام الأرجاء، والأجواء والبقاع والأمصار .

---

(١) (منهج القرآن في التربية) محمد شديد ص ٢٥ بتصرف .

(٢) سورة الفتح من الآية (١٨).

وإن من أهم الدوافع التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع هو غفلة السواد من المعنيين بأمر الدعوة إلى الله تعالى عن أهم الميادين التربوية في الوحي الإلهي ، والأصول العامة التي ينبغي أن يعيها رجالات الإصلاح وأرباب الدعوة هي أن مهمة الداعية في المقام الأول مهمة تهذيبية تربوية، وليست مهمة تجارية نحسب فيها المكسب والخسارة التي تعود على ذواتنا، والمهمة التربوية ركن ركين من أركان الدعوة ، بل هي الدعامة الأولى، والركيزة الأساسية التي يقوم عليها البناء الحركي للدعوة، وهي بمثابة العمود الفقري لأركانها .

الأمر الذي يدفعني إلى بيان موضوع البحث في النقاط التالية :-

* **الأولى** : الطابع التربوي في الوحي الالهي .
* **الثانية** : ميادين التربية في المنهج الاسلامي .
* **الثالثة** : مفهوم التربية بالموعظة الحسنة في الوحي الالهي .
* **الرابعة** : أهمية التربية بالموعظة الحسنة للداعية الاسلامي المعاصر.
* **الخامسة** : طريقة القرآن الكريم في عرضه لميدان التربية بالموعظة الحسنة.
* **السادسة** : طريقة السنة النبوية في عرضها لميدان التربية بالموعظة الحسنة.
* **السابعة** : منهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم في إلقاء الموعظة.

ولي مع كل نقطة من هذه النقاط وقفة لتوضيحها . فأقول وبالله التوفيق :-

** النقطة الأولى:

[طبيعة المنهج التربوي في الوحي الإلهي]

لقد أحدث الوحي الإلهي - الممثل في القرآن الكريم والسنة النبوية - أثراً بالغاً في الفكر الإنساني والحياة الإنسانية ، حيث نزل القرآن الكريم وفي العالم ركام هائل من التصورات والفلسفات والأساطير والأفكار والأحلام والشعائر ، وإختلط الحابل بالنابل ، والصحيح بالزائف ، وعم الفساد والانحلال ، وكان الانسان يتخبط في الظلمات ، ويسير على غير هدى وكانت الصورة مطمورة ، والحقائق ضائعة ، فلم يدرك حقيقته ومنهجه وغايته في هذه الحياة ، وظل الفكر الإنساني في بلبلة وحيرة ، إذ كان يعوزه اليقين ، فكان لابد من الرسول الخاتم ، والدعوة الخاتمة لرفع هذا الركام حتى يتبدد الظلام ، وتستقيم البشرية في سبيل واحد ، لاطرق متعددة ، تصلح من حال الإنسانية ، وتصحح أفكارها، وتنقذه من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن التعدد في الآلهة المزعومة إلى الوحدانية ، ومن الاعوجاج والضياع إلى الاستقامة والنور وعدل الإسلام .

ومن ثم أشرق نور الوحي الإلهي على هذا المستنقع المظلم الذي طمس العقل ، وخنق الروح والجدان ، وأمات الفطرة ، فأحدث نقلة تصويرية إعتقادية بعيدة المدى ، وصاحبها نقلة أخرى معرفية علمية ، إقرأ باسم ربك، وعبر المسيرة الطويلة كانت آيات الوحي الإلهي تنزل لتعمق الإيمان ، وتحيي الأفئدة ، وتقنن منهاجاً للحياة والأحياء ، فقام الوحي الإلهي بمهمة الربط والجمع والدفع والتركيب والتركيز، وجمع الشمل للوصول بالإنسانية إلى المستوى الذي أراده لها الإسلام ، كما كان له أكبر الأثر في نفوس العرب إذ أحدث نقلة هائلة في سلوكياتهم ، وأساليب حياتهم ومعتقداتهم، وحول

المجتمع القبلي الجاهلي إلى مجتمع قيمي تسوده أخلاق ومباديء الوحي الإلهي فهرت القلوب ، وأصقلت الأرواح والمشاعر ، وجلت البصائر ، فاستنارت العقول ، وانطلق المجتمع الجاهلي إلى أفق رحيب حمله إليه الإسلام .

على أن طابع الوحي الإلهي يجعل الإنسان يضع نفسه وقدراته في سياق واتجاه واحد ، بعيداً عن مواقع الارتطام التي تفتت الطاقة ، ويمنحه قدرة على السعي والعطاء شأنه شأن الشعلة المتوهجة ، فهو هدى مبرمج مرسوم ، يحرك الطاقات الخامدة للبشر ، ويُعبِّد لها صعود الآفاق التعبدية والدنيوية ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ (١) ، فمنهجه إذاً منهج قيادي وريادي في كل منحى من مناحي الحياة المتنوعة لم تصل إلى رقيه ولن تصل إلى درجته أي نظام من الأنظمة البشرية التي تضع منهجاً للحياة والأحياء .

لأنه منهج فريد في هويته وخصائصه ومنابعه وهدفه وغايته ، فضلاً عن أنه قد حوى مجموعة من المباديء ذات الطابع الريادي ، مثل تحديد الأهداف ، وحسن العرض للمباديء ، وإيجاد استقطاب حول الدعوة ، والتعرف على أساليب التأثير ، الأمر الذي يفرض على الأنظمة البشرية صفة التلمذة للمنهج الإلهي في كل درب من دروب الحياة ، وأثرى الفكر الإنساني بالمناهج العلمية الحديثة التي تقوم على الملاحظة الدقيقة للظواهر ، والبحث والتجريب للحقائق إذ أخذ عن الوحي الإلهي منهج الاستقصاء ، والقياس والملاحظة والبحث التجريبي والبسط البرهاني ، ومنهج نقد النص ،

---

(١) سورة الروم : من الآية (٥٨).

وعرضت هذه المناهج في إطار الوحي الإلهي عرضاً مؤثراً توافرت فيه كل وسائل الإيضاح ، وعوامل الإقناع ، في اسلوب معجز في بلاغته وبيانه، واستدلالات بسيطة وعميقة تستجلى بساطتها وعمقها من كتاب الكون الناطق ولاغرابة إذا قلنا: بأن الوحي الإلهي قد حوى علوماً شتى، علوم الأولين والآخرين ، وحوى العديد من الحقائق العلمية والكونية التي تضمنتها علوم الطبيعة والفسيولوجيا والنبات والحيوان والزراعة والوراثة وعلم النفس والطب والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والميتافيزيقا والقضاء ، وعجز الزمن في ظل الكشوف العلمية المتعارف عليها لدى البشر عن نقض المعارف الإلهية ، ويتجلى الإعجاز الإلهي فيما حوى من أسس وأصول معرفية ومتوالية على مر العصور والدهور دليل متجدد على معجزة الرسالة الخالدة.

- ﴿ سنريهم آياتنا في الآفـــاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (١).

- ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً ﴾ (٢)

- ﴿ مافرطنا في الكتاب من شيء ﴾ (٣)

وبهذه القواعد العلمية بمختلف مناحيها - مجتمعة ، فإن الوحي الإلهي بمثابة القائد والمعلم، وما سواه له طابع التبعية والانقياد ، وإذا كانت البشرية في شتى بقاع المعمورة الأرضية يبحثون عن المناهج والأنظمة التي تحقق صلاحها واستقامتها وسعادتها، فإن الوحي الإلهي هو الجامع لمصالح العباد والبلاد، دنيا وآخرة ، وفيه من المناهج الاجتماعية

---

(١) سورة فصلت من الآية (٥٣).

(٢) سورة النساء من الآية (٨٢).

(٣) سورة الأنعام من الآية (٣٨).

والاقتصادية والسياسية والتشريعية ... الخ. مايصلح للرقي الحضاري للأمم في شتى نواحي الحياة .

ومن هذه المناهج التي قننها الوحي الإلهي ، الطابع التربوي للتخلق بالقيم المثالية وردعا للأهواء ونهى النفس عن الهوى ، وردها إلى طاعة الله عز وجل ، وامتثال أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكي يهذب من نفوس البشر، ويربي الإنسان علي دعائم ثابتة ، ليتشكل في النهاية الشخصية السوية التي يبغيها الوحي الإلهي . واتصفت القاعدة التربوية في الوحي الإلهي بالتوازن السلوكي ، فهي تبغى الدارين ، أي تجمع بين مطالب الروح والجسد ، والدنيا والأخرة ، وهي ذات طابع عملي ، إذ تقرن القول بالعمل، والنظرية بالتطبيق ، وتجرد الإنسان من ذاتيته الفردية ، ويؤثر النزعة الجماعية على الفردية .

واتخذ أسلوب التربية والتعليم في الوحي الإلهي ، صوراً شتى، فأحياناً يكون بالخطاب المباشر، وأحيانا يكون بالرواية ، وأخرى بالاستفهام، ورابعة بالشرح والتبسيط والإيضاح ، وخامسة بالوصف والسرد، واستخدمت بذلك جميع صيغ الحديث ومناهجه لتيسير الفهم والتعليم والتربية، فأحيانا يرق القلب، ويسلك إلى النفوس مسلكاً ليناً، وأحياناً يغلظ ويشتد، وأحياناً يتخذ صور التحقير والتشفي، ويأخذ أحياناً صور التبكيت والتقريع، وينهج أحياناً منهج التبشير والترغيب، وكان هذا الحشد التجمعي لفنون القول وصوره ومناهجه من الأمور الفذة في مجال التبليغ للتربية والتعليم . وكان هذا العرض المتكامل لفنون القول من الأمور التي جعلت التربية تحقق أهدافها بفاعلية منقطعة النظير، وأطالت الدعوة في

الوحي الإلهي واستطردت في بيان نعم الله تعالى على الخلق إيقاظاً لهم من غفوتهم، وتحريكاً لمشاعرهم ، وتعميقاً لعملية التربية والتعليم ، فالله وحده هو الملجأ وهو سبحانه وكيل المؤمنين ، وحقق التذكير بهذه الغاية هدف التربية والتعليم (١) .

واقتضى المنهج التعليمي التربوي أن يكون التعليم والتهذيب والإرشاد والتربية بالمثل والقدوة لما لعنصر التوجيه القيادي من أثر على النفس في تدريبها على التمسك بالفضائل ، ولما تنطوي عليه الأمثلة من تبشير وتعليم ، وكان لهذا المنهج أثر كبير في تهذيب النفس ، وغرس المعاني ، وترسيب الأفكار ، لتدل بسلوكياتها على القيم الإيمانية التي تؤمن بها .

ومن ثم تعددت مسالك المنهج التربوي في الوحي الإلهي ، وهو ماسنجليه من خلال عرضنا للنقطة التالية ، فأقول وبالله التوفيق :-

** النقطة الثانية :-

[ميادين التربية في الوحي الإلهي]

لقد حدد الوحي الإلهي الفلسفة المتكاملة والشاملة لمناحي الحياة والأحياء في دقة ووضوح وهذه الفلسفة كل يتركب من جزئين : أحدهما: المعرفة بالله تعالى: وثانيهما : المعرفة بالخير، والمنهج الذي قننه الوحي الإلهي في سبيل هذه المعرفة مداره العقيدة : وعلى أساس هذه القضية الأساسية نجد الفلسفة الإلهية في إطار هذا الوحي تدور حول واقع الكون، وواقع الحياة، وواقع الأحياء ، ومن ثم كان من ثمرة هذه الفلسفة والتي تعمل علي تحقيقها ماسبق من غاية ، ولايمكن أن تتحقق إلا في الانسان ، ومن

---

(١) (وظائف التبليغ القرآني) د./ احسان عسكر ص ١١٦-١٢٠ بتصرف .

غير المعقول أن يوجد مثل هذا المنهج ولاتواكب وجوده تربية ، تعتمد عليه ، ويعتمد عليها في تحقيق أهدافه ، كما يتجلى في الوحي الإلهي طبيعة التربية في الإسلام، فهي تضم جميع مناحي الإنسان ولاينصب اهتمامها على ناحية بعينها دون الأخرى ، كما تهتم بتناول الحياة الدنيا والحياة الآخرة على قدم المساواة، ولايعني بواحد منهما علي حساب الآخر ، وأيضاً تعني بالإنسان في كل مناشط حياته ، وتنمي لديه العلاقات التي تربطه بالآخرين بل تهتم بسائر العلاقات (علاقة الإنسان بخالقه ، علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، علاقة الإنسان بالأقارب علاقة الإنسان بوالديه، علاقة الإنسان بالجار..)الخ. بما يتضمن العلاقات الانسانية في الإسلام ، وجانب آخر نلمسه في طبيعة التربية الإسلامية وهو أنها مستمرة ومتجددة تبدأ منذ تكوين الإنسان جنيناً في بطن أمه إلى أن تنتهي حياته على الأرض بل تهتم بالإنسان قبل أن يولد (باختيار الزوجة الصالحة صاحبة الدين) وبعد مماته (بتكريمه بأن يصلى عليه ويدفن ولا تقطع أوصاله .. إلى غير ذلك مما يألفه الناس في حياتنا المعاصرة من امتهان لكرامة الانسان ، كما أن طبيعة التربية الإسلامية حين تطبق تطبيقاً شمولياً وواقعياً وفق ماجاء في الوحي الإلهي يحقق للإنسان التوازن في نصيبه الدنيوي والأخروي ، وكل هذا الطابع التربوي في الوحي الإلهي نابع من مراعاة الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها .

ومن ثم فلا عجب إذاً ، من تعدد ميادين التربية في الوحي الإلهي ، وتنوع طرقها ، فإذا كان للتربية الإسلامية غايات مبنية على قيم معينة فإنه لابد أن يكون لها ميادينها ، وطرقها هي نفس ميادين القيم التي تشكل جوانب الشخصية الإنسانية ، والتي تتكون من مجموعة من الأطر المتنوعة

للنمو العقلي ، وآخر للنمو الاجتماعي ، وغيرها من مختلف الأطر في المراحل المختلفة للكيان الإنساني ، وهكذا تؤدي كل مجموعة من هذه الشروط المؤثرة في ناحية من نواحي الشخصية إلى تغيرات معينة ، وهذه التغيرات تتكامل بالشكل العام ، الذي يُكوِّن في النهاية « الشخصية الانسانية» .

على أن المتأمل في الوحي الإلهي سيلمس مكونات الشخصية الإنسانية ، وأهم الجوانب التي يهتم بها الطابع التربوي ، الجانب الجسدي والعقلي ، والعقائدي ، والأخلاقي ، والوجداني ، والجمالي ، والاجتماعي ، فهذه الجوانب الرئيسية تحتوي في داخلها على مجموعة أخرى من الجوانب التفصيلية .

وإذا كانت هذه هي جوانب الشخصية الإنسانية ، فإن الكل أكبر من مجموع أجزائه ، والوحي الإلهي يتعامل مع هذا الكل ، في سبيل الغاية العليا منه ، بحيث يمكن بناء الإنسان بناءً غير متناقص ولامتضارب في إطار الهدف العام من الطابع التربوي في الإسلام ، وبحيث تكون شخصية متكاملة حتى يخرج الإنسان للوجود الإنساني يؤدي الغاية التي من أجلها وُجد وخلق في هذه الحياة [1].

ولم تقتصر بالتالي طرق التربية في الوحي الإلهي على ميدان بذاته ، بل تعددت وتنوعت الأساليب والوسائل التربوية في المنهج الإسلامي تبعاً لحال المدعوين ، واختلاف ميولهم وغرائزهم ووجداناتهم ، وأفكارهم

---

(١) انظر (فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم) د./ علي خليل ابو العينين ص ١٥٨، ١٥٩ . و (علم النفس التربوي د./ أحمد زكي صالح ص ٧٠ ، (منهج التربية في الاسلام) علي القاضي ص ٧٠، (التربية في الإسلام) د./ أحمد فؤاد الأهواني ص ٧ بتصرف .

وثقافاتهم وأجناسهم وبيئاتهم .. ، وهذا يؤكد مدى اهتمام الوحي الإلهي بالأساليب التربوية وميادينها وطرقها في صورة كلية وشمولية تبعاً للغاية الذاتية من التربية ، ويعضد - أيضاً - من اهتمام الوحي الإلهي بالأساليب التربوية التي تستميل أفئدة المدعوين نحو قيمه وتعاليمه ، وإن عناية الوحي الإلهي بهذه الطرق ، وعدم إغفال مناهجه لأي أسلوب يرشد الإنسان إلى السلوك الأمثل الذي يصلح لواقع كونه وحياته وإحيائه ، لدليل آخر على إعطاء المدعو حقه من التربية ، على أن هذه الميادين المتنوعة تبدو جلية في (التربية الروحية (العقائدية)، والتربية الجسمانية (البدنية)، والتربية العقلية، والتربية الخلقية ، والتربية الجمالية ، والتربية الاجتماعية، والتربية الوجدانية)، كما تعددت طرق التربية في الوحي الإلهي وهي كما تظهر في (التعليم والقراءة عن طريق العمل والخبرة، واستخدام المدارك الإدراكية (العقل) في الإنسان، واهتمام بالأسوة الحسنة والقدوة ، وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن الموعظة والنصح ، وعن سرد القصص التاريخي لاتخاذ العبرة والتذكرة والعظة ، وعن ضرب الأمثال والأشباه، والترغيب والترهيب والثواب والعقاب، وغرس العادات الحسنة وإزالة التقاليد البالية السيئة، وإفراغ الطاقة فيما يعود على الانسان بالمصلحة الدنيوية والأخروية ، كما عني الوحي الإلهي وهو يربي الفرد المسلم أو الأمة المسلمة في منشئها باستغلال الأحداث الجارية وواقعها في تربية النفوس استغلالا عميق الأثر ، ومن هذا نتبين الهدف الغائي من نزول القرآن الكريم منجماً حسب الظروف والحوادث، لكي يكون الإنسان في « معية الله تعالى، فهو سبحانه يسمع عبده ، ويجيب دعاءه ، دون حاجة إلى وسيط أو شفيع، والنفس لاتقنع بالمعرفة وحدها، بل تتشوق إلى المشاهدة والتجربة»[1].

---

(١) (منهج القرآن في التربية) محمد شديد ص ٢٣٥ .

والهدف من اتباع هذه الطريقة في التربية أن يكون الإنسان العابد «مدركاً للعلاقات المختلفة بين الأركان والخلائق المتنوعة ، وقادرا على اختيار المنابع التي يرجع إليها لاستقاء المعلومات اللازمة لدراسة الموضوعات المختلفة، ومميزا بين الثقافات الفكرية (الأصيلة والأصلية والدخيلة المدسوسة عليه، وقادرا على التمييز بين الحقائق الثابتة والتيارات المتجددة واستنباط التعميمات ، وميالاً نحو البحث والقراءة والاطلاع ، ومكتسباً لاتجاهات من حوله من امتثل وأطاع الوحي الإلهي ، وبين من حاد وانحرف عنه ، وقادراً على التفكير الناقد ، وعلى الاستفادة من الأحداث الجارية وتقدير الجهود الانسانية [1]».

وإذا كانت ميادين وطرق الطابع التربوي في الوحي الإلهي متنوعة ، فإن سمة هذه الميادين هو التكامل في سبيل الوصول إلى الهدف العام للتربية الإسلامية ، ويمكن لكل طريقة منها – على حدة – أن توصل الى الهدف ، ولكنها جميعها يمكن أن تمتزج في سبيل الوصول للهدف ، بحيث تشكل سبيلاً واحداً متكاملاً متناسقاً لا يمكن تجزئته أو تفتيته ، كما أنها تعتبر أهدافا في حد ذاتها ، ومعلوم أن هناك تكاملاً بين الهدف والطريقة، وبين النظر والعمل، وبين العلم والتطبيق ، كما أنها مجتمعة ليست جامدة بل مرنة تستوعب كل تجديد أو إضافة إليها ومراعية لمصالح العباد والبلاد لأنها صالحة لكل زمان ومكان ولكافة الأجناس على اختلاف مشاربهم ، كما أن هذه الميادين المختلفة يمكن استغلالها في كافة المناحي المتنوعة ، سواء منها

---

(١) (تدريس المواد الاجتماعية) د./ أحمد حسين اللقاني وغيره ص ١٠٢ – ١٠٣ نقلا من (فلسفة التربية الإسلامية) ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ بتصرف يسير .

التجريبية أم الفكرية ، وفي تنظيم المناهج بحيث تتداخل مع المناهج البشرية السائدة (والحكمة ضالة المؤمن أن وجدها فهو أحق الناس بها) ليتحقق الهدف المنشود من الطابع التربوي في الوحي الإلهي ، ولا يظن ظان أن هذه الميادين المتنوعة في الطابع التربوي جزئي بل هو متكامل في كل جوانبه وميادينه ووسائله وأساليبه وطرقه ولاينفصل ميدان منه عن الآخر، كما لايمكن تجزئة الكيان الانساني باعتباره بدناً وعقلاً وروحاً ، وإنما ورد التقسيم لمجرد البحث والدراسة .

هذا ولما كانت هذه الميادين لايمكننا بحثها ودراستها في هذا البحث دراسة موضوعية فهي تحتاج إلى مجلدات ، ومكتبتنا الإسلامية والعربية زاخرة بجهد أساتذتنا المعنيين بالدراسة التربوية ، فإنني آثرت اختيار هذا الموضوع لأهميته على النحو الذي سيظهر جلياً للقارىء الكريم في النقطة التالية :-

**النقطة الثالثة :

[أهمية التربية بالموعظة الحسنة للداعية الإسلامي المعاصر]

لما كانت الذاتية التربوية في مفهومها اللغوي والاصطلاحي فحواها: تنمية أي مساعدة الفرد على أن ينمو وفق قدراته واستعداداته وظروف الحياة في مجتمعه ، بحيث يكون أقدر على الاستفادة من القدرات والاستعدادات فيما يعود علي نفسه ومجتمعه بالخير والنماء ، فإن أهمية التربية – بكافة مناحيها – تحدد في إطار هذا المفهوم العام مدى أهمية

التربية في حياة الفرد والأسرة والمجتمع ، وأثرها في تنمية القوى والطاقات الموجودة لدى الإنسان باعتباره الأساس والدعامة الأولى لحياة الأسرة والمجتمع والأمة ، ومن ثم عنيت التربية بالانسان كفرد وكجماعة على حد سواء ، حتى يصبح عضواً مؤثراً في المجتمع وتبدأ هذه التربية معه وهو جنين في بطن أمه ، وتستمر طوال حياته ، لأن حياته تعني : احتكاكه وتفاعله بالمحيط الذي يعيش فيه ، والبيئة التي يحيا بها .

ويمكن القول : أن التربية منذ وجدت علي الأرض مع وجود الإنسان عليها وهي وثيقة الصلة بالمجتمع، تعكس فلسفته وأهدافه وظروف حياته، وألوان نشاطه، وقيمه ومعتقداته، أي تعكس عموماً أيديولوجيته في الحياة [1].

وإذا كانت التربية عملية أيديولوجية . فإن الأيديولوجية الإسلامية هي الأساس ولها قصب السبق على سائر الأيديولوجيات الوضعية في رحاب الكون ، إذا ماقورنت بغيرها من أنظمة بشرية وجدت على الساحة الأرضية، من حيث الذاتية والهوية ، ومن حيث الميلاد والنشأة ، ومن حيث المصدر والمنبع ، ومن حيث خصائصها وسماتها ، ومن حيث أهدافها وغاياتها ، ومن حيث الوسائل والأساليب الموصلة لغاية الأيديولوجية الإسلامية [2]، وليس هنا مجال البحث لبيان هذه المحاور .

---

(١)أنظر (نحو فلسفة عربية للتربية) عبدالغني عبود وغيره ص ١٧، ١٨ ، (فلسفة التربية الاسلامية في الحديث الشريف ط. عبد الجواد سيد بكر ، ص ٦٥ – ٦٧ بتصرف .

(٢) أنظر (ذاتية الفكر الإسلامي وغايته) د./ مرسي شعبان السويدي – لمزيد من الاستفادة أنظر (منهج التربية الاسلامية) محمد قطب جـ ٢ ص ٤٢ – ٤٩ بتصرف .

وحسب الأيديولوجية الإسلامية أنها تستمد ذاتيتها وفكرها من الوحي الإلهي الممثل في القرآن الكريم والسنة النبوية ، لا تناقض فيه ولا نقص ولاعوج كما في المناهج البشرية ، وأنه المنهج الذي يربط الدنيا والآخرة ، ولاتفصل بين الخطوط المتقابلة في النفس الإنسانية بل تعمل على توازنها وتكيفها مع طبيعة الكيان الإنساني ومقابلة متطلباته المادية والروحية وفق المباديء العامة في الاسلام ، وبالتالي تبتعد به عن المسالك التي تؤذي فطرته ، وتكبت رغباته ، وتنمي الجانب العقلي فيه ، وبناء الضمير فيه، وتربي كافة مناحي حياته (الاجتماعية ، والجمالية ، والصحية والعملية والخلقية ، والبدنية ، والعقلية ، والروحية)، وقد عملت التربية الإسلامية على تنمية هذه المناحي المتنوعة للكيان الإنساني باعتبارها تشمل الحياة كلها، لكي تعد الإنسان إعداداً كاملاً وسوياً في الحياة ، قادرا على المعايشة وفق واقع الإسلام للكون وللحياة وللأحياء .

ومن ثم تتضح أهمية الدراسة التربوية بمناحيها المتنوعة للداعية الإسلامي المعاصر ، وأن نوجه عنايتنا بها في مجال الدراسة الجامعية وتدخل ضمن مقرراته الدراسية لتكون له زاداً علمياً وعملياً في حياته ، وخاصة إذا كنا نريد أن نهيء الداعية الإعداد الفكري الأمثل في حياتنا المعاصرة . فإن التربية الإسلامية هدفها الإنسان، تتعهده بالرعاية والعناية عقائدياً، وعقلياً، وبدنياً، ووجدانياً، وأخلاقياً، واجتماعياً، وجمالياً، ولا تنفصل هذه النواحي المكونة للكيان الإنساني بعضها عن بعض، بل كلها تعمل في إطار كامل ومتكامل لإعداد الإنسان لحمل الأمانة التي أبت السموات والأرض على حملها ، وحملها الإنسان ، وستتضح هذه المعالم والملامح التربوية من خلال هذ البحث .

ومن أبرزها أن مهمة التربية الإسلامية ترتكز على الوحي الإلهي ، وترسيخ توجيهاته ونصائحه ومواعظه على أساس هذ الوحي ، كي تعد الإنسان إعداداً قويماً ، ومنه الإعداد التربوي لمواجهة أعباء الحياة ، حتى تصبح سلوكيات الإنسان عادة يقوم بها دون جهد ، ويتوجه إليها من تلقاء نفسه في كل عمل يقوم به .

وإذا كنا نبغي أن نؤهل الداعية المعاصر تأهيلاً تربوياً، فينبغي أن يتخذ من السيرة الذاتية العملية للرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، يقتفي أثره ، وينتهج نهجه ، ومن ثم لابد أن تتوافر فيه مجموعة من الخصال – اجتمعت في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم – فأهلته لا ليقود أسرة بعينها، أو مجتمع بذاته ، بل قاد البشرية بأسرها إلى مافيه صلاح لها في الدنيا والآخرة ، ويمكننا إجمالها على النحو التالي[1]: أن تكون شخصيته أكبر – في المعارك العقلية – ومن شخصية المدعو ، وأن تكون لديه القدرة على المتابعة والتوجيه الدائم ، وأن تكون لديه القيادة بمهمته الخطيرة في تربية الآخرين ، متبعا أدب وخطوات المنهج الدعوى كما جاء في الوحي الإلهي: ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [2].

والآية الكريمة كما جاءت في سياق النص القرآني تبرز بجلاء كما يقول أستاذي محمود عبدالسميع شعلان: «أن الانسان في مسيرة الحياة في صراع دائم بين مطالب مادته الترابية، ومطامح الروح العلوية، وهو يعيش هذا الصراع أبدا يجذبه الشيطان – وجنده من الجن والانس –

---

(١) لمزيد من الاستفادة أنظر (منهج التربية الاسلامية) محمد قطب جـ ٢ ص ٤٣ – ٤٩ .

(٢) سورة النحل من الآية (١٢٥) .

ونفسه الأمارة بالسوء إلى أن يحقق شهوات الجسد، فيتجه فكره إلى ماحرم الله تعالى ، وتنظر عيناه ، وتسمع أذناه ماحرم الله تعالى، ويتجه بكليته ليشبع في نفسه نهمها إلى كل ماتطلبه من منبهات وسيئات.

وقد يكون هناك صنف آخر من الناس يغلب نفسه على هواها، ويقوي واعظ الله في قلبه على الشيطان الذي يوسوس له ، فيسمو بنفسه عن الدنايا صاعداً إلى المثل العليا تستشرفها نفسه، ويتعلق بها قلبه.

فإذا كان من يقدم الموعظة داعية مخلصاً قد وهب له حياته ومماته وصلاته ونسكه وعمله ، فإنه بمشيئة الله تعالى سوف يخلص قلوب العصاة مما ران عليها من الاثم بما يذكرهم به من آيات الله جل شأنه.

والصنف الثاني - أيضاً - يحتاج إلى موعظة حتى لاتهدأ في نفسه جذوة الطاعة، فيميل قلبه إلى هوى النفس ، ذلك أن الموعظة الحسنة تعمل دائماً على تنمية نوازع الخير فيه، ومدها بالطاقات المحركة والدافعة للطاعة.

فإذا تذكر الطائعون ما أعده الله لهم من نعيم وسعادة أبدية (في الدنيا والآخرة) هفت نفوسهم شوقاً إليها، وإذا تدبروا ما أعد للعاصين من عذاب أليم في الدارين ، نفروا من الاثم ، وعزموا على التزام ماهم عليه من سلوك قويم .

ولعل ذلك يبرز لنا بوضوح أهمية الموعظة الحسنة كخطوة منهجية من السبل التي اتخذها الرسول الخاتم سبيلا لنشر دعوته ، وبث رسالته ، ويتضح - أيضا - أثرها في صلاح المدعوين وتربيتهم واستقامتهم [1].

---

(١) لمزيد من الاستفادة أنظر (منهج الدعوة إلى الله تعالى كما تصورة سورة النحل) د./ محمود عبدالسميع شعلان ص ٢٤٣ وما بعدها .

ولعلنا نقتدي برسولنا الكريم وصحابته والتابعين في أن نسلك سبيل المؤمنين كي نصل إلى مانصبو إليه من بناء لترسيخ الدعائم الإيمانية في صفوفنا ، ونتخذ الأسوة الحسنة في نشر دعوتنا، ونتبع أسلوب التربية بالموعظة الحسنة كما جاءت في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الأعلام، لندرك أهميتها وأثرها في تقويم الأمة بل والإنسانية جمعاء.

*** * النقطة الرابعة :-**

[مفهوم الموعظة في الوحي الإلهي]

من أهم الطرق المؤثرة في تكوين الإنسان تكويناً مثالياً وإيمانياً، وتهيئته التهيئة الخلقية والاجتماعية والروحية والعقائدية والتربوية – في شتى مناحيها – تربيته بالموعظة الحسنة، وتذكيره بالعبرة والنصيحة ، لما لها من أثر بالغ في تبصير الإنسان بحقائق الأشياء ، وتنويره ودفعه إلى معالي الأمور، فلا غرابة أخي القارىء الكريم، إذا ما اطلعت على الوحي الإلهي بعين البصيرة والإدراك فوجدت الطابع التربوي الوعظي بين آياته في سائر ماوجه وأرشد ، وذكر وعبر، ذلك أن « في النفس الإنسانية استعداد للتأثر والتأثير بما يلقى إليها من النصائح والمواعظ ، وهو استعداد مؤقت في الغالب يلزمه التكرار ، والموعظة المؤثرة ، والنصيحة البليغة ، والحكمة الرشيدة تفتح سبيلها إلى النفس البشرية مباشرة عن طريق الوجدان ، وتهزه هزا، وتثير كوامنه ، كالسائل الذي تُقلب رواسبه فتملأ كيانه ، ولكنها إذا تركت ترسبت وتراكمت من جديد »[1].

---

(١) منهج التربية الاسلامية) محمد قطب جـ ٢ ص ١٨٧ بتصرف يسير.

فما هي الموعظة إذن ؟.

الوعظ والعظة والموعظة في المعاجم العربية مصادر ، قولك : وعظتُه أعظُه زجر مقترن بتخويف .

قال الخليل: هو التذكير بالخير بما يرقق القلب، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «السعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره» [1] قال تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة .....﴾[2].

وقال رؤبة ويروي للعجاج :

لما رأونا عظعظتْ عظعاظا نَبْلُهم وصدقوا الوُعَاظا .

يقول : كان وعظهم النُوَب واعظ ، وقال لهم : إن ذهبتم هلكتهم ، فلما ذهبوا أصابهم ماوعظهم به فصدقوا الوعاظ حينئذ.

وفي الحديث: يأتي على الناس زمان يستحلُّ فيه الربا بالبيع ، والقتل بالموعظة ».

وهو أن يقتل البريء ليتعظ به المريب ، كما قال الحجاج في خطبته : واقتل البريء بالسقيم »[3].

وفي القاموس المحيط : يقال : وعظ وعظا وموعظة : ذكره بما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ [4].

---

(١) (لسان العرب) مادة وعظ .

(٢) سورة سبأ من الآية (٤٦).

(٣) (بصائر ذوي التمييز) جـ ٥ ص ٢٤٠.

(٤) القاموس المحيط جـ ٢ ص ٣٠٠.

والوعظ : التخويف ، والعظة الاسم [1].

وقيل هي : النصح والتذكير بالعواقب سواء أكان بالاستمالة والترغيب أم بالزجر والترهيب.

والموعظة : أصلهامن وعظ ، والوعظ هو النصح والتذكير بالعواقب، وهو مايرقق القلب ويميله نحو الطاعة من قول أو فعل.

ووزنها مفعلة من الاتعاظ والانزجار.

أما الموعظة في الاصطلاح: فتطلق ويراد بها: النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل [2].

وقيل هي: مجموعة من العبر النافعة والخطابات المقنعة ، والارشادات المخوفة على وجه لايخفي على المدعوين ، أن الداعي ينصحهم ويقصد ماينفعهم [3].

والوعظ يطلق ويراد به النصيحة والإرشاد والإنذار والتبشير وهي كلها كلمات مترادفات تخدم معنى واحدا وهو الدعوة ، وهو بهذا المعنى الملموس في المعاجم اللغوية وفي الاصطلاح: رعد يقذب في قلوب الكافرين رعباً، ويجذب أفئدة المؤمنين جذباً ، وبرق يخطف أبصار المنافقين ليصيروا عمياناً ، وينور بصائر ذوي التمييز من المؤمنين عرفانا، وبدوي أذان الصالحين لئلا يكونوا صما، ويهدي مسامع الصالحين حكماً يقرع النفوس لطامعها، ويصرع أقوى من سيطرة القوة البوليسية البشرية الرادعة في قلوب الناس فيضاً وإرسالاً وتعذيباً وسجناً.

---

(١) (الجامع لأحكام القرآن) للامام القرطبي جـ ١ ص ٤٨٠.

(٢) (هداية المرشدين) على محفوظ ص ٦٩.

(٣) (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) للامام الالوسي البغدادي جـ٤ ص ٢٥٤.

ومن ثم تكمن أهميتها في الوحي الإلهي باعتبارها أسلوب من أهم الأساليب التي ينبغي على أرباب الإصلاح، معرفته، والإلمام بمأثره وحكمه، والموعظة الحسنة منهج من مناهج الدعوة إلى الله تعالى « ليس في العهد المكي فحسب ، بل في كل وقت وحين ، يحبب في الدعوة ولا ينفر منها، ويقرب إليها ولا يبعد عنها، فيه تيسير لا تعسير، يختلط فيه الرغبة والرهبة ، والانذار والبشارة ، فيه الرفق واللين، وتدخل القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، إنها تبتعد عن الزجر والتأنيب في غير موجب ، وتقرب القلوب النافرة، وتوحي إلى المدعو أنه أمام دعوة تفيض بالحب والحنان النابضة بالروح الإيماني»[1].

★★ **النقطة الخامسة:**

[طريقة القرآن الكريم في عرضه لميدان التربية بالموعظة الحسنة]

إن أسلوب الوحي الإلهي الممثل في كتاب الدعوة «القرآن الكريم» متنوع في الدعوة إلى الله تعالى ، والتذكير بالله جل شأنه، وفي الإرشاد بالنصيحة ، وإلقاء الموعظة، حيث جرى ذلك كله على ألسنة الصفوة المختارة من البشر وهم الأنبياء والرسل – عليهم السلام – كما تردد على ألسنة ورثتهم من العلماء العاملين، ولا يختلف إثنان ، أن الموعظة المخلصة، والنصيحة البليغة المؤثرة ، إذا وجدت لها القلب الصالح ، والنفس النقية المخلصة، لأثمرت وأينعت ، وآتت أكلها ضعفين ، وسرعان ماتستميل لها النفس، ويستجيب لها القلب لتأثيرها.

---

(١) (أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا) عبد الغني بركة ص ٥٢ ، ٥٣ بتصرف

والقرآن الكريم قد أكد هذا المعنى في آياته وتوجيهاته ، وكرر الانتفاع بالعبرة والذكرى، والتأثير بالكلمة الهادية ، والنصيحة الراشدة، وقد اتخذ أسلوب الموعظة الحسنة معياراً لمنهج الدعوة إلى الله تعالى، وسبيلاً للوصول لصلاح الفرد والأسرة والمجتمعات ، فضلاً عن صلاح الأمم .

** ومن استعرض آيات القرآن الكريم يجد الطابع التربوي الوعظي حقيقة جلية وملموسة في سائر توجيهاته – إن لم يكن كله موعظة وشفاء لما في الصدور.

- قال تعالى: ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ (١).

- وقال عز وجل: ﴿ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور . . ﴾(٢). ولاعجب أن وجدنا القرآن الكريم خير موعظة ﴿ إن الله نعما يعظكم به ﴾(٣). تتعلم منها المدارك الإنسانية ، وتشرق لها النفس البشرية، ويطمئن لها القلب المنعم بنور الإيمان ، فتنقاد لها الجوارح، ويستقيم السلوك، وتصبح دنيا المؤمن مطية لدار أخرى أخلد وأنعم وهي الآخرة، ومن ثم فالقرآن الكريم قد احتوى على أحكم المواعظ (التعليمية، والاخلاقية، والعقائدية، والتشريعية ، والروحية، والتأديبية .. الخ) لأنه كتاب للإنسان وحديث عنه في كافة مناحيه المتنوعة ، ومنهج كامل متكامل للحياة والأحياء .

---

(١) سورة ال عمران الآية (١٣٨).

(٢) سورة يونس من الآية (٥٧).

(٣) سورة يونس من الآية (٥٧).

** ثم إن أسلوب الموعظة في القرآن الكريم متنوع ومنساب بقوالب متنوعة وأساليب مختلفة، تتناسب وحال المدعو وطبيعته، فتارة تأتي الموعظة مذكرة بأهمية التقوى، ومنوهة بالعبرة والتذكرة، ومعبرة بالعظة والنصيحة والموعظة ، وحاضة رابعة علي اتباع سبيل الرشاد ، وسادسة بالإغراء والترغيب ، وسابعة بالإنذار والترهيب ، وثامنة باتباع الأسلوب القصصي، وتاسعة بالحكمة ، وعاشرة بالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن ... ويتجلى هذا التنوع لكل ذي بصر وبصيرة أن للأسلوب الوعظي أهمية بالغة في تطهير وتربية النفوس على الخير ، وتزكية القلوب وحملها علي الحق، واستجابتها للهدى، فالنفوس الصافية، والقلوب المتفتحة، والعقول الواعية المتدبرة، إذا بدالها الحق منساباً بالكلمة المؤثرة ، والموعظة الرشيدة ، والنصيحة البليغة، والتذكرة المخلصة، فإنها سرعان ماتهرع وتستجيب في غير ريب أو تردد، وتتأثر من غير شك وتوقف، بل سرعان ماتخضع للحق، وتتقبل هدى الله تعالى الذي أنزله لعباده وفيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

** وفي المواعظ القرآنية يتجلى الطابع التربوي في أسمى صوره حين ندرك الحكمة من تنوع هذه المواعظ على اختلاف سبلها وطرقها في آي الوحي الالهي ، وهي تبغي الرقي بالإنسان العابد والوصول والصعود به إلى مصف الأنبياء والرسل عليهم السلام ، إذا ما امتثل الانسان الصراط المستقيم قال تعالى: ﴿ من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾[1]، كما تبغي تربية الانسان عقائدياً،

---

(١) سورة النساء من الآية (٦٩).

وسلوكياً، ظاهرياً وباطنياً، قولاً وعملاً ، فردا أو مجموعاً، ريفياً أو بدوياً و متحضراً، أمياً أو متعلماً، الإنسان أيا كان جنسه ولونه ولغته وعقيدته، وهي بالتالي تصرف الناس عن الضلال إلى الهدى ، وإصلاح النفس، وإحياء الإنسانية لما فيه صلاح لها في الدنيا والآخرة ، وليس في نبوة الأنبياء وإرسال الرسل عليهم السلام حكمة أجل وأسمى من نجاحهم ونجاح قومهم ، ومالواعظ حقيقي من الصناعة الوعظية غاية إلا إصلاح نفسه وسعادتها بل يؤثر قومه على نفسه، ومن ثم فالطابع التربوي الوعظي في القرآن الكريم صادر عن حكمة إلهية لاعن هوى مجرد من الغاية .

** ونظراً للنظرة المادية الجارفة التي اجتاحت سبل ساحتنا الإسلامية – بفعل المؤثرات الدخيل عليها – قد أساء الناس الفهم في غاية الوعظ، كما أساءوا فهم العلم ومنافعه ، حيث أنهم جعلوا كسب الأموال ، وجمع الأرزاق ، وبناء الفيلات، وتشييد العمارات، وسائر ماتصبوا إليه الآمال المادية هدفاً يرنوا إليه الواعظ، وصاروا يحاولون الجمع بين الأضداد والتأليف بين المتضادات، فتأتي العظة القرآنية تلجم ألسنة المبهورين بالحضارة الغربية قائلة لهم ولأمثالهم: ﴿ لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نُزلاً من عند الله وماعند الله خير للأبرار﴾[1].

(١) سورة آل عمران الآيات (١٩٦ – ١٩٨).

- قال تعالى: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾[2].

** كما يتجلى الطابع التربوي الوعظي في القران الكريم مبيناً قواعد التربية الإسلامية وميادينها ، ومدخلات الفضيلة ومخرجاتها، وقدم المنهج العملي (السلوكي) والمنهج النظري (العلمي) الشامل لمناحي الحياة، وهو منهج حياتي لا يختلف فيه اثنان باختلاف الزمان والمكان، ويعطي للحياة قيمتها الحقيقية، محققاً للإنسان التوازن والتعادلية فيها، يبغي به عمارة الأرض دنيا ودين ، ومجلياً أن التشريعات ليست مجموعة من النصائح والمواعظ التي تلح علي ضرورة التعود علي الحياة الأخلاقية فحسب بل هي الصبغة الشاملة التي تنظم حياة الإنسان، وليست هي مجموعة من القواعد والقوانين التي أوصى بها الدين فحسب بل هي نظام تربوي كامل ومتكامل للحياة وللأحياء.

ولا يقتصر الطابع التربوي الوعظي في آي القرآن الكريم في تقديم منهجه في عالم المثاليات والنظريات فحسب ، ولكنه يمتد إلى عالم الواقع

---

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٤-١٥).

(٢) سورة طه الآيتان (١٣١).

البشري مقدماً منهجاً عملياً ملينا بالحركة والنشاط ، ومشبعاً بالتجدد والاستمرارية في حركة الحياة ، ومقترناً بالأمثلة والتطبيقات، وبهذه المعالجة التربوية القرآنية الفذة تستحيل المباديء التربوية إلى سلوك واقعي لا أثر فيه للوعظ النظري أو النصيحة المجردة ، أو الثرثرة الكلامية ، والغاية من هذا كله تربية النفس البشرية ، وتنشئة الضمير الحي اليقظ (القلب) الذي يشعر بمراقبة الله تعالى، ويخش معصيته ، وحتى تدرك النفس خطواتها ومسيرتها، وحتى تبني الممارسة والتطبيق على قواعد راسخة ، ودعائم ثابتة، وأسس ممنطقة، تصنع الحد الفاصل بين الحق والباطل، والنور والظلام، والخبيث من الطيب ... ومن ثم يتكامل البناء التربوي في آي الذكر الحكيم ، وتتضح معالم الطريق أمام الانسان فيتفهم غاية مافي التبليغ الإلهي من مواعظ ونصائح وتوجيهات فيمضي قدماً في سبيل الله المستقيم[1].

- قال تعالى: ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾[2].

- وقال عز وجل : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ﴾[3].

- وقال تعالى :﴿ قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء... ﴾[4].

---

(١) (وظائف التبليغ القرآني) د./ احسان عسكر ص ٤٤٧ - ٤٦٠ بتصرف .

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٠١). (٣) سورة الأنعام الآية (١٥٣).

(٤) سورة الأنعام الآيات (١٦١، ١٦٢، ١٦٣).

** كما نلمح في الطابع التربوي الوعظي في آيات القرآن الكريم الاه
بتقييم النماذج البشرية التي يمكن من خلال تحليل سلوكياتها تع
العبرة في نفس الإنسان ، وعمل التابع القرآني على إلقاء الأضواء
مواقف هذه النماذج من خلال تاريخ بشري ممتد في أعماق العص
ولم يقتصر هذا التحليل علي الحياة الدنيوية ، بل امتدت المعالجات
الحياة الأخروية، وعني أيضاً بوصف هذه النماذج البشرية على اخ
طبائعهم ، وسجل كل حركة من حركاتهم ، ورصد كل همس
همساتهم ، وحكم على غايتهم في الحياة من خلال أعمالهم وأقوالهم

فالمؤمنون هم المسلمون والمتقون والمفلحون والفائزون الراك
الساجدون العابدون ... إلى آخر ماجاء في النهج القرآني من توصيف
ولاتخفى على مسلم .

وأما الكافرون فهم الخاسرون الفاسقون الظالمون المعتدون .

وأما المنافقون فهم في الدرك الأسفل من النار .

** وإن أروع مافي النص القرآني هذه النماذج الإيضاحية التي لغ
الفنون التبليغية ، وأحدثت المستهدف من عرضها في مجال ا
والإرشاد.

* فنجد إبراهيم خليل الرحمن – عليه السلام – نموذج الحلم والـ
والتقوى .

* ونوح – عليه السلام – نموذج للداعية الصابر ....

* وأيوب – عليه السلام – نموذج للعبد المؤمن الصابر ..